الزائر المرتقب

الدكتور
شهاب الدين محمد أبوزهو
كلية أصول الدين بطنطا
جامعة الأزهر

رمضان كريم

الزائر المرتقب

الدكتور
شهاب الدين محمد أبو زهو

لن أخسر رمضان

الحمد لله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه كما يحب ويرضى، حمدًا يوافي نعمه ويُكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا رب غيره ولا معبود بحق سواه، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وبعثة هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وارحم اللهم من تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين وارحمنا معهم، وامنن علينا بمغفرتك ورضوانك وبركاتك يا رب العالمين.

تَعَرَّضْ للنفحات:

أيها الإخوة الكرام! إن لربنا في أيام دهرنا لنفحات ألا فتعرضوا لها؛ فإن من تَعَرَّضَ لرحمة الله ﷻ حتى تصيبه سَعِدَ سعادة لم يسعد بمثلها أحد، ومن تخاذل أو تكاسل أو تقاعس أو فرط أو قصَّر أن يتعرض لرحمة الله تعالى فهذا هو الشقي المحروم - نعوذ بالله من الخذلان ونسأله الهداية والتوفيق لما يحب ويرضى -.

إن شهر رمضان شهر واحد في العام، يأتي بعد أحد عشر شهرًا من اللهو واللعب واللغو والسهو والتفريط والإفراط والتقصير والتكاسل.

أحد عشر شهرًا ونحن ننتظر هذا الشهر الفضيل المبارك، بل قل كما قال الله ﷻ: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فإن كلمة شهر تُوحي بالطول، تُوحي إلى الناس بأنه سيمكث فيهم ولن يرحل كما تعود الناس أن كلمة الشهر طويلة ومعناها ثقيل، لكن حين تقرأ القرآن ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ليُذكر الناس أنه إذا ما حل في دياركم ونعمتم بأيامه، فاعلموا أنه سرعان ما يرحل فاغتنموه.

وقد اخترت عنوانًا لهذه الرسالة «**لن أخسرَ رمضان**» إن شاء الله تعالى.

كرر معي: بعزيمة.. بقوة.. بجد.. بنشاط.. بهمة عالية..، قل: لن أخسر رمضان إن شاء الله تعالى. كرر ... أسمع نفسك، أسمِع من حولك.

قل لهم: إن عندي خطة، إنّ عندي هدفًا واضحًا، إن عندي طريقة مستقيمة لأصل بها إلى اكتساب أيام رمضان، ولياليه. بل إلى اكتساب دقائقه وثوانيه. بل إلى المحافظة على خطرات ولحظات العيون في نهار رمضان وفي ليله.

أيها الأخ الحبيب! لن أخسر أنا وأنت وإخواننا المسلمين. لن نخسر إن شاء الله تعالى شهر رمضان في هذا العام. وكيف نخسره ومِنْ شأن المؤمن أنه يستبق إلى الخيرات. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وللخير مواسم، وللرحمة أزمنة، وللطاعة أيام وليال.

موسم رمضان هو موسم الطاعة، والبر، والخير، والحق، والرشد، والهداية، والرحمة، والبركة. كل مايخطر على بالك في هذا الشهر.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى[1]: (إن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه لطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون، وخاب فيه المبطلون!).

٧٢٠ ساعة:

انتبه يا من تحرص على الخير ولا تُفرط في أيام عمرك، رأس مالك!

---

(١) لطائف المعارف، ابن رجب، ص (٢٣٢)، وإحياء علوم الدين، الغزالي، (١ / ٢٣٦).

احسب ساعات رمضان، واحرص على توظيفها، واستغلالها جيدًا؛ فالساعة في رمضان بساعات في غير رمضان، والدقيقة في رمضان تساوي ساعة في غير رمضان؛ بسبب كثرة الخير الموجود فيها، وشرف زمانها.

فجملة ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾: تنبهنا إلى أنها ستنتهي سريعًا، فلا تفرط في أي جزء منها، ولا تُعط الفرصة لأحد في أن يُضيع عليك أيام رمضان ولياليه في الغفلات والشهوات وما شابه ذلك.

احسب معي، والحساب يُنبهك، عُدَّ معي، والعدّ سيرفع همّتك ويوقظك.

٣٠ يومًا x ٢٤ ساعة = ٧٢٠ ساعة.

احسب: إذا كان نومك ٦ ساعات يوميًا، في ٣٠ يومًا، أي ١٨٠ ساعة من النوم طوال شهر رمضان.

وهذا في حال نوم ٦ ساعات فقط! هناك من ينام أكثر!!

إخصم ١٨٠ ساعة نومًا من ٧٢٠ ساعة هي كل ساعات شهر رمضان، حيث قلنا إن رمضان ٧٢٠ ساعة، فإذا نمت ٦ ساعات يوميًا، أي ١٨٠ ساعة طوال الشهر، يتبقى لديك ٥٤٠ ساعة.

سنفترض أن **العمل** ٨ ساعات يوميًا باستثناء أيام الجُمع، أي ٢٦ يومًا في الشهر عملًا.

٨ x ٢٦ = ٢٠٨ ساعة في الشهر عملًا.

عند خصمها من ٥٤٠ ساعة المتبقية، يتبقى لدينا ٣٣٢ ساعة.

الصلاة: نصف ساعة؛ لكل فرض من الفجر وحتى المغرب أي أن هذه الفروض الأربعة لها ساعتان.

والعشاء والتراويح كذلك ساعتان.

أي مجموع صلوات اليوم والليلة: أربع ساعات x ٣٠ يومًا = ١٢٠ ساعة للصلوات طوال الشهر.

وهنا لابد أن تنتبه!

فمتوسط ساعات النوم طوال شهر رمضان= ١٨٠ ساعة.

ورمضان ليس شهر نوم.

ومتوسط ساعات الصلوات فقط= ١٢٠ ساعة.

نعود لحسبتنا مجددًا: بعد خصم ساعات الصلوات، يتبقى لدينا ٢١٢ ساعة من مجموع ٧٢٠ ساعة؛ الأكل والسحور لكل منهما ربع ساعة تقريبًا، أي نصف ساعة في اليوم، لتكن ساعة!

وساعة أخرى لأي أعمال أخرى.

أي ساعتان x ٣٠ يومًا = ٦٠ ساعة.

اخصم: ٦٠ ساعة - ٢١٢ ساعة = ١٥٢ ساعة.

اخصم: ٥٢ ساعة ضاعت في مكالمات تليفونية أو غيرها من أعمال، يتبقى لديك ١٠٠ ساعة من ٧٢٠ ساعة في رمضان!

احسب إذن كم ساعة خسرت؟!!

سنخرج من هذه الحسبة معنا ١٢٠ ساعة صلاة، بالإضافة لمائة ساعة لابد أن نستغلها قدر الإمكان، أي ٢٢٠ ساعة من مجموع ٧٢٠ ساعة.

هذا ما ستملأ به صحيفتك! الصلاة، بالإضافة لما ستفعله في المائة ساعة، وهذا ما سنوضحه.

فإذا اعتبرنا أن العمل عبادة - والعبادة لابد أن تصحبها نية - فتكون نيتك في عملك: أكل الحلال الطيب، والإنفاق على أسرتك، والسعي في قضاء حوائج الناس الراغبين في إنهاء مصالحهم لديك، والتيسير على المسلمين ...

وذلك كله بشرط: أن لا يكون عملك حرامًا، وليس فيه شُبهة، ولا يشتمل على غش، ولا ربا، ولا اختلاس، ولا أي شيء من الأمور المنهي عنها، وألا يتعارض عملك مع الفرائض كالصلاة مثلًا.

وبذلك تُضيف ٢٠٨ ساعة عمل إلى ٢٢٠ ساعة عبادة، فيزيد عدد ساعات عبادتك.

والآن: المائة ساعة التي تبقت لنا من حسبتنا السابقة، ماذا سنفعل بها؟

أفراح الوصول:

والناس في هذا المقام قسمان؛ قسم يفرح ويُسَرُّ بمقدم الشهر، ويُعِد عدته استعدادًا له، وقسم يُفرط، وشهر رمضان عنده كغيره؛ كصفر كربيع، كجمادى، كذي القعدة، كغيره من الشهور لا يزيد الأمر عنده شيئًا إلا أنه يُمسك عن الطعام من الفجر ويُفطر عند الغروب.

والمسلم الحق هو من يفرح بمقدم شهر الخير والبركات ويُسَرُّ به ويُهنِّئ به إخوانه، وهذه سنة عن النبي ﷺ فقد كان إذا جاء رمضان يقول لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين: (**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ**)[1]، فهذه تهنئة من النبي ﷺ بهذا الشهر.

وللهلال دعاء خاص، وياحبذا لو اطلعت في السماء بين الحين والآخر لتُحْيِيَ هذه السُّنَّة، سُنَّة رؤية الهلال فتقول: (**اللهمَّ أهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإيمانِ، وَالسَّلاَمَةِ وَالإِسْلاَمِ، رَبِّي وَرَبُّكَ الله، هِلالُ رُشْدٍ وخَيْرٍ**)[2]، تُخاطب الهلال: أنت مخلوق لله لا تملك ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا ولا نقصًا ولا زيادة، كما أنا مخلوق لله، ولكني أحييك وأدعو عند رؤيتك امتثالاً لسنة النبي ﷺ، واستحضارًا لحرمة الشهر وعظمته، وحملًا للنفس على اغتنام بركته، وأن أكون من أهل رحمته.

---

(١) رواه النسائي في سننه (٤ / ١٢٩ رقم ٢١٠٦)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٤٥١) وقال: (حديث حسن غريب). ورواه ابن حبان في صحيحه، (٨٨٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

أنوار الفضائل:

ولهذا الشهر الكريم فضائل لا تخفى على أحد، نذكرها لتتحفز الهمم وتعلو النفوس وتنشط الأفئدة والقلوب لتكون هذه النفوس المؤمنة والأجساد الطائعة أهلًا لأن تتنزل عليها رحمة الله ﷻ.

فاتح الرحمات ومغلق الكربات:

من أوائل فضائل هذا الشهر ما ذكره النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح: (**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ**)[1].

فُتحت أبواب الجنة: تُفتح على الحقيقة كما هو ظاهر الحديث، وإذا فُتحت أبواب الجنة فاعلم بأن الأعمال تصعد وتُرفع وتُقبل في هذا الشهر، فَقَدِّمْ لنفسك عملًا يدخلك من أبواب الجنة.

وغُلقت أبواب النار: إنها دعوة للناس أن يهجروا الأعمال التي تؤدي إلى النار، دعوة للناس أن يتباعدوا عن المعاصي التي تُفضي إلى الهلاك والبوار.

فُتحت أبواب الجنة وغُلقت أبواب النار: أي تزيد الطاعة لتصبح سهلة ميسورة، فالكل طائع، وشعاره في وقت الغضب إني صائم، والكل ما بين قارئ للقرآن، أو ذاكرٍ لله ﷻ، وما بين

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعًا، (١٩٧٧)، ومسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، (٢٥٤٧).

ساعٍ على الأرملة والمسكين وابن السبيل، وما بين ساعٍ في طلب العلم ونشر دين الله ﷻ، وما بين آمرٍ بالمعروف وناهٍ عن المنكر، وما بين عائدٍ للمرضي، الجميع في طاعة ... سواء أكانت هذه الطاعة طاعة قولية أو طاعة عملية، سواء أكانت هذه الطاعة طاعةً فردية أو طاعة اجتماعية.

إذن فليس هناك مجال للعصيان تقريبًا، حتى العصاة يُقْصِرُون عن فعل الشر ولا يدعون الناس إليه غالبًا إلا فريق منهم سوف نُنبئ عنه بعد حين.

وصُفِدت الشياطين: أي سُلسلت وقُيدت بالسلاسل والأغلال، والتي تُصفد مردة الشياطين فحسب، أما صغارُ الشياطين فما زالوا يعيثون في الأرض فسادًا، فإذا كان صغار الشياطين في نهار رمضان يفعلون بالناس ما يفعلون، ويَؤزُونَهم إلى المعاصي أزًّا، فما بالنا حينما ينطلق عليهم كبار الشياطين وَمَرَدَتُهُم؟! وإن لم تتغلب على صغارهم وعلى نفسك الأمارة بالسوء في رمضان، فمتي تتغلب؟

شهر القرآن:

ومن فضائل هذا الشهر أنه شهر القرآن، والله تبارك وتعالى قد بين ذلك في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ثم اقرأ بعد ذلك: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

إما أن يكون القرآن قد نزل جملةً واحدةً في بيت العِزَّة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم مفرقًا في ثلاثٍ وعشرين سنة، حسب الأحوال وما تقتضيه الدواعي كما قدر الله عز وجل، وإما أن يكون ابتداءُ نزول القرآن على النبي عليه الصلاة والسلام كان في شهر رمضان، فنزل جملةً في بيت العزة في السماء الدنيا، ونزلت بدايته مفرقًا آياتٍ آياتٍ ... في رمضان أيضًا.

ولهذه الآية ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ معنى آخر: أي أن شهر رمضان كان زمانًا ومحلًا لنزول القرآن، فيه توقيت بنزول القرآن، وهذا هو المعني الأشهر.

ويقول بعض المفسرين: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ أي: أُنزل القرآن في بيان فضيلته وبيان بركته، إذن القرآن نزل ليُثني على الشهر ويُعلي من أمره كما في هذه الآيات التي في سورة البقرة؛ والمعنى الأول هو الأشهر.

شهر الصبر:

من فضائل شهرنا أنه شهر الصيام، وإنما نصومه أولًا عبادةً لله تعالى، فهو ركن من أركان الإسلام، والصوم حبس النفس على طاعة الله تبارك وتعالى بالمجاهدة ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، والمجاهدة تعني بذل الجهد وما في الوسع للإتيان بالطاعة على وجوهها.

وأيضًا في الصوم امتناع عن الأكل والشرب والشهوة واللغو والرفث وكل ما يُكره للصائم، أو يحرم عليه.

إذن يجتمع الصوم مع الصبر في أنهما حبس وامتناع، إما حبس للنفس على طاعة الله، وعن معصيته، وامتناع عما يُغضب الله ﷻ وعما أمرنا بالكف عنه، فما الفائدة؟ الفائدة أن للصبر شأنًا عظيمًا، فإذا قمت بحقه حق القيام في شهر رمضان فاعلم بأنك من الصابرين، والله ﷻ قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، يدخر الله ﷻ لهم ليثقل موازينهم، فتتساقط المظالم، وتطيش السيئات، وتعلو وتثقل كفة الحسنات بفضل الصوم، والنبي عليه الصلاة والسلام هو من سمى شهر رمضان بشهر الصبر، فقال في الحديث الصحيح: **(صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ)**[1]، والوَحَرُ هو الغيظُ والغلُ والحقدُ والحسدُ والوساوس، يعني أدرانَ القلب والأمراض الباطنية القلبية.

شهر الاستجابة:

من فضائل هذا الشهر أيضًا أن لكل صائم فيه دعوةً مستجابة لا تُرد، ففي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(ثَلَاثَةٌ لَا يُرَدُّ دُعَاؤُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ**

---

(١) رواه أحمد في مسنده (ط الرسالة - ٣٨ / ١٦٨) وصححه الأرنؤوط وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (١٠٣٢).

الْمَظْلُوم، يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عز وجل: بِعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)[1]، وقوله: (حَتَّى يُفْطِرَ) تعني طوال صيامه في نهاره كله إذا دعا استجاب الله عز وجل له.

ولكن كثيرًا من الناس يقولون: ما بالُنا ندعو في رمضان بالنهار ولم يُستجب لنا، وعند الإفطار ولم يُستجب لنا، أين هذه الاستجابة؟!

والحقيقة أن العيب ليس في الاستجابة، وليس الشك في الحديث أو في نسبته إلى النبي ﷺ، أو أخبرنا النبي ﷺ بخبر غير صدق، حاشا لله، إنما العيب أن آداب الدعاء وشروطه لم تتحقق، فقد يدعو الواحد ويرفع يديه قائلًا: اللهم إني لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله ... ثم يدعو الله تعالى: اللهم افعل لي، وافعل لي، وافعل لي ... وهو يُقر في نفسه، ويعزم عزمًا لا تردد معه أنه سيسمع الفوازير، وفيلم السهرة، ومسرحية السهرة!! وقد يرفع يديه داعيًا ثم يتكلم عن فلانة وفلان؛ ماذا فعلت؟ وماذا فعل؟ ولعله يكون قد أفطر على الحرام؛ حيث ماله من الربا، أو الغش، أو التدليس، أو من الشبهة ... إذن كيف يُستجاب له؟!

إن من أهم الأمور التي يُستجاب لصاحبها الدعاء الأكلَ الحلال.

---

(١) حديث صحيح بطرقه وشواهده: أخرجه أحمد في مسنده (ط الرسالة - ١٥ / ٤٦٣)، وأخرجه الترمذي (٣٥٩٨)، وأخرجه ابن ماجه (١٧٥٢)، والبغوي (١٣٩٥)، وأخرجه ابن خزيمة (١٩٠١).

إن كثيرًا من الناس يدعو في رمضان ولا يُستجاب له، فيسكت وينقطع عن الدعاء! وهذا خطأ عظيم!! بل يجب عليه أن يراجع نفسه ويبحث من أين جاء الخلل، فيعالج تقصيره وتفريطه حتى يقبل دعاؤه.

ولو تفكر المسلم لَعَلِمَ أن له دعوة في كل يوم على فرض أن الدعوة تُستجاب عند الإفطار، فلو أنه ادخر لكل يوم دعاءً لأصاب خيرًا عظيمًا، فمرة يدعو بالمغفرة، ومرة يدعو بالرزق الوفير، ومرة يدعو بالصلاح في الزوجة والأولاد، وقبل ذلك كله يدعو للمسلمين المتفرقين في هذا الزمان ممن تسلطت عليهم كلاب الأمم أن يُعزهم الله ﷻ، ويرفع رايتهم، دعوات عظيمة لو شغل نفسه بذلك لرأى بعينيه النتيجة، إما على الفور وإما بعد حين حسب ما قدر الله ﷻ.

أي التجار أنت؟

أيها الإخوة الأحبة! إذا علمنا فضيلة هذا الشهر، وفضيلة الأعمال فيه، فلننظر كيف يكون حالنا؟ تخيلوا معي اليوم في عالم التجارة يبيع الناس ويشترون، ما بين رابح ربحًا عاليًا، وخاسر خسارةً جسيمة، يتفاوت الناس ربحًا وخسارة طوال أيام السنة.

وقد اتفق التجار فيما بينهم أيًا كانت تجارتهم وأيًا كانت سِلَعُهُم على أن يقيموا مواسم العرض المستمر، يقولون: المعرض الأول للكتاب، المعرض الأول لأجهزة الحاسب، المعرض الأول للأقمشة، لملابس المدارس ... هكذا يفعلون، لِمَ؟ رَجاءَ الربح.

فمن لم يذهب إلى هذه المعارض من التجار فاته ربح كثير؛ لأن الناس تُقبل عليها، وهي موسم بيع وشراء، وبعض الناس يذهب إليها ولا يُحسن عرض سلعته، ولا يهتم بخدمة هؤلاء الذين يتوافدون للشراء؛ فلا يقوم بعمل إغراءات، وعمل عروض متميزة، ويخفض في بعض الأسعار، ويُعطي بعض الهدايا؛ وهذا لا شك سيخسر في المعرض ... تعالوا بنا لنطبق هذا الجانب المادي على رمضان.

أحد عشر شهرًا ونحن نأخذ الحسنات (بالقَطَّارَةِ) والسيئات بالمكاييل، مثل سَيْلٍ عَرِمٍ يدمر كل شيء؛ بعد أحد عشر شهرًا من الكساد في سوق الحسنات يأتينا موسم التجارة مع الله، فمن أي التجار سنكون؟ هل سنكون من التجار الماهرين الذين يحسنون استقبال الشهر بعرض بضاعتهم على الله؟ أم سنكون من الصنف الآخر عياذًا بالله؟

الأصناف الأربعة:

والناس في رمضان أصناف أربعة:

* **الصنف الأول:** ونعوذ بالله منهم ونسأل الله الهداية لهم، صِنفٌ مُسْتَخِفٌّ بهذا الشهر وحُرْمَتِهِ، جاحد بفرضيته، مجاهر بفطره، مجاهر بمعصية الله فيه، وهم الذين جاء فيهم قول النبي ﷺ: (**كُلُّ أُمَّتِي**

مُعَافى إلاَّ المُجَاهِرِينَ)[1]، أي الذين يجاهرون بالمعصية فتراه يُفطر في الطريق، وتراه يُفطر في القطار، وتراه يأكل ويشرب على المقهى هكذا بغير حياء من الله ﷻ أو من المجتمع، هذا مُسْتَخِفٌّ بحرمة الشهر، مستهتر به، فهذا لا يُعافيه الله ﷻ إلا إذا أعلن التوبة النصوح ورجع إلي الله تعالى.

ويدخل في هذا الصنف أيضًا: من يُجاهر بالمعصية في شهر رمضان رغم أنه شهرُ حَثِّ النفس على طاعة الله ﷻ وكَفِّهَا عن معصيته، كهؤلاء النسوة المتبرجات السافرات المتهتكات! انتظرن هلال رمضان فلم يغير منهن شيئًا أبدًا، بل يزددن فسوقًا والعياذ بالله، والفسوق هو الخروج عن طاعة الله، هذه المرأة لَمَّا تخرج سافرةً متهتكة، تلبس الضيق والقصير، وتكشف عن مفاتنها، وتُبرز عورتها؛ إنها تُفسد على الناس صيامهم، إما جَبْرًا أو اختيارًا، تجبرهم على أن يُفسدوا صيامهم، هذه يصدق فيها قول الرسول ﷺ (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافى إلاَّ المُجَاهِرِينَ).

* **أما الصنف الثاني**: فهم صنفٌ يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله، إذا جاء رمضان صاموا؛ فالبطن عن الطعام مُمْسِكَةٌ، والفرج عن الشهوة ممتنع، واليد تمسك المِسْبَحَةَ، واللسان يُتَمْتِمُ والشِّفَاهُ تتحرك ببعض الأذكار، هذا في النهار، ولكنه إذا خلا بربه وأغلق الباب على نفسه، أو إذا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، (٥٧٢١)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، (٧٦٧٦).

كان الليل؛ لم يؤثر فيه هذا الصيام، أي يُعلنون شعائر الصيام الظاهرة، فإذا ما خَلَوْا بأنفسهم لم نجد للصيام تأثيرًا في نفوسهم، والله أعلم بنفوسهم، ولا نستطيع أن نحكم على أحد بذلك، فهذا الصنف نزل فيهم قول الله ﷻ: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨].

* **أما الصنف الثالث:** فهو صنف يصوم ولكنه يجهل حقيقة الصيام، إنهم صنف فَهِمُوا الصيام على أنه إمساك وامتناع عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الشمس إلى غروب الشمس، فإذا ما أُذِّنَ بالمغرب حَشَوْا بطونهم بأنواع الطعام والشراب، وتثاقلوا عن صلاة الجماعة، فضلًا عن صلاة التراويح؛ تثاقلوا لأن البطون قد امتلأت، واستعدوا للفوازير والأفلام والمسرحيات، فهم يَبْنُونَ بالنهار بناءً أشبه ما يكون على صفحة البحر، أو على أرض غير مستقرة! سَرْعَانَ ما ينهار، فإذا ما جاء الليل سرعان ما هدموا أعمال النهار بسوء صنيعهم، هذا شأنهم وتلك حالهم!!

* **أما الصنف الرابع:** ونسأل الله ﷻ أن نكون منهم وأن نكون من العاملين بمثل عملهم، فهم الذين أدركوا حقيقة الصيام، فَعَلِمُوا أن الصيام هو مدرسة الثلاثين يومًا، هو مدرسة التقوى، عرفوا أن رمضان هو موسم الرحمة، وموسم التطهير بمزيدٍ من التقرب إلى الله ﷻ، وهؤلاء يقولون لرمضان حينما يسمعون بقرب مقدمه: مرحبًا بالشهر المُطَهِّرِ الذي يغسلنا من ذنوبنا.

يعلمون أن الصلوات الخمس تغسل الذنوب وتحط الأوزار والخطايا: عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: (**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرنِهِ شَيْءٌ؟**) قالوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: (**فَذلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**)[1]، هذا في كل يوم.

وأما في كل أسبوع فصلاة الجمعة تحط الخطايا، ما من خطوة تخطوها إلا ويكتب لك بها حسنة، ويحط عنك خطيئة وتُرفع لك درجة، وكان لك بكل خطوة تخطوها إلى صلاة الجمعة ذلك كله بالشروط المذكورة في الحديث عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: سمعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (**مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ**[2]**، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ**[3]**، وَمَشَى، وَلَمْ يَرْكَبْ**[4] **فَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ**[5]**، فَاسْتَمَعَ، وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا**)[6].

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، (٥٠٥)، ومسلم، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، (١٥٥٤).

(٢) أراد غسل الأعضاء للوضوء، واغتسال الجمعة. أوكان سببًا في غسل زوجته بالجماع إن كان متزوجًا؛ لأنه أغض للبصر في الطريق. أو كما قيل: (مَنْ غَسَّلَ) يريد غسل رأسه؛ وأفْرَدَ الرأسُ بالذكر لما فيه من المؤنة لأجل الشعر، أو لأنهم كانوا يجعلون فيه الدهن والخطمي ونحوهما، وكانوا يغسلونه أولًا ثم يغتسلون. (واغتسل) يريد اغتسل بنفسه. وقيل: هما بمعنىً، والتكرار للتأكيد.

(٣) أي سارع إلى المسجد مُبكرًا. أو كما قال ابن حبان: بكر إلى الغسل وابتكر إلى الجمعة.

(٤) هذا إذا كان قريبًا أو بعيدًا وكان يستطيع المشي؛ وإلا فليركب.

(٥) أي يحرص على الصفوف الأولى.

(٦) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح: أخرجه أحمد (ط الرسالة - ٢٦ / ٩٤) وابنُ أبي شيبة ٢/ ٩٣ - ومن طريقه ابن ماجه=

إذن عندك المغفرة يوميًا في الصلوات الخمس كنهر تغتسل فيه، وعندك المغفرة الأسبوعية في صلاة الجمعة، وعندك المغفرة السنوية في شهر رمضان.

فالصنف الرابع من الناس في رمضان: أراد أن يتطهر أكثر، ويتقرب أكثر إلى الله ﷻ، وهم الذين جاء فيهم الحديث المشتهر الذى نحفظه جميعًا كما ورد عند البخاري ومسلم عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: (**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)[1].

هل صمت قبل ذلك؟

والصيام الذي يحقق كل هذه الثمرات ليس هو الامتناع عن الشهوات المادية فحسب، فالصيام أيها الفاضل ثلاثة أنواع: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص.

* **أما صوم العموم:** فهو الإمساك عن الطعام والشراب والشهوة فقط، ولكن لا مانع عنده من أن يَسُبَّ، أو يشتم، أو يسخط، أو يجهل، أو يصيح، أو يعتدي، أو يأكل الحرام ... ولا يهمه إذا

= (١٠٨٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٥٧٣)، والطبراني في «الكبير» (٥٨٥) - وأبو داود (٣٤٥) - ومن طريقه البيهقي في «السنن» (٣/ ٢٢٩)، وفي «فضائل الأوقات» (٢٧٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٦٥) - وابن حبان (٢٧٨١)، والحاكم (١/ ٢٨٢). وأخرجه النسائي (٣/ ٩٥ رقم١٣٨١).

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان، (٣٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، (١٨١٧).

كان هناك صلاة تراويح أو لا، ولا يهمه أن يُحافظ على صلاة الجماعة في المسجد، ولكن المهم أنه صائم فقط، وكأنه أدى المهمة التي عليه!! وهذا هو صوم العموم.

* **أما صوم الخصوص:** فهو صوم البطن والفرج عن شهوتيهما ويلحق بهما عدة أمور، أو كما قال أبو حامد الغزالي عليه رحمة الله: إن صوم الخصوص لابد أن يكون فيه بضعة أمور:

الأمر الأول: غَضُّ البصر عما حرم الله ﷻ.

الأمر الثاني: كَفُّ اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب واللغو والبهتان وشهادة الزور وما شابه ذلك.

الأمر الثالث: كَفُّ اليد والرجل وسائر الأعضاء عن ما تقترفه من المعاصي.

الأمر الرابع: كَفُّ السمع عما حرم الله ﷻ، فكما حرم عليك الغيبة حرم عليك استماعها، وحرم عليك استماع الأغاني الماجنة الفاجرة الخليعة التي ملأت البلاد وعكف على استماعها كثير من العباد.

ثم يقول لك أبو حامد الإمام: واعلم بأنه ينبغي عليك بأن تصوم صوم المتقين لتتقرب إلى الله ﷻ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، والتقوى أن تمشي بحذر، فقبل أن تعمل العمل أو تقول الكلمة، اسأل بحذر:

هل هذا مما يُرضي الله ﷻ؟ أو مما يُغضبه؟ هل هذا من باب الحسنات؟ أم من باب السيئات؟ هل هذا من الحق؟ أم من الباطل؟

قال أُبَيُّ بن كعب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقد سأله عن التقوى، قال له: يا أُبَيُّ! ما التقوى؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أمشيت في طريق فيه شوك؟ قال: نعم، قال: فماذا كنت تفعل؟ قال: أُشَمِّر ثيابي وأجتهد، يعني: أُشَمِّرُ ثيابي لئلا يُمسك بها الشوك، وأجتهد أن أتبصر الطريق فأضع قدمي في المكان الخالي من الشوك.

وانظروا إلى طريق المسلمين اليوم وهو الطريق العام، انظر وأنت ذاهب إلى عملك في الصباح: عن اليمين واليسار ومن أمامك متبرجات، وتكفي نظرة واحدة أن تُضَيِّعَ عليك صلاة الفجر - إن كنت من أهل الفجر - فإذا عدت إلى بيتك سَرْعَانَ ما تهرع إلى التلفاز وتفتحه، وتنظر إلى فتيات الإعلانات الماجنات والتمثيليات الهابطة والأفلام الخليعة، ويقولون: تمثيلية اجتماعية وبنَّاءة!! كيف وفيها نساء يكشفن عن صدروهن وشعورهن ...، بئس هذا البناء.

إن الدين لَوَاضِحٌ أَبْلَجُ، ولا يليق أبدًا أن ننتهك حرمته لا في رمضان ولا في غير رمضان.

* **صوم خصوص الخصوص:** هو صوم القلب عما سوى الله ﷻ.

فَقَلْبُ الصائم لا يفكر إلا في الله ﷻ، وإذا خاطبته فإنما يكلمك بلسانه، وأما قلبه فإنه بربه موصول، يكون معك بالجسد ولا يدري ماذا تقول ولا فيما تتكلم!! إن هؤلاء يحرصون على اللحظات والخطرات في أعمالهم، هذا هو شعارهم، اللحظات والخطرات!! وليست الساعة ولا الساعتان في العبادة، وأما باقي الوقت ففي الترفيه وما شابه ذلك؛ فحياتنا كلها ترفيه الآن!!

أولئك آبائي:

عَامِرُ بنُ عَبْدِ قَيْس التَّمِيْمِيُّ العَنْبَرِيُّ البَصْرِيُّ[1]: من كبار الزهاد العابدين، كان لا يكلم الناس؛ إما أن يكون صائمًا أو قائمًا أو ذاكرًا أو قارئًا، فأراد رجل أن يسأله مسألة فجاء إليه فوجده يصلي، فلما انصرف عامر من صلاته، قال له الرجل: إن لي مسألة، قال له عامر: سَلْ وأوجز في مسألتك فإني مُبَادِر، قال له: وماذا تُبادر رحمك الله؟ قال: أبادر أجلي أن يأتيني وأنا على غير الطاعة.

(١) القُدْوَةُ، الوَلِيُّ، الزَّاهِدُ، أَبُو عَبْدِ اللهِ البَصْرِيُّ. قَالَ العِجْلِيُّ: كَانَ ثِقَةً، مِنْ عُبَّادِ التَّابِعِيْنَ، رَآهُ كَعْبُ الأَحْبَارِ، فَقَالَ: هَذَا رَاهِبُ هَذِهِ الأُمَّةِ. وَعَنْ أَبِي الحُسَيْنِ المُجَاشِعِيِّ، قَالَ: قِيْلَ لِعَامِرِ بنِ عَبْدِ قَيْسٍ: أَتُحَدِّثُ نَفْسَكَ فِي الصَّلاَةِ؟ قَالَ: أُحَدِّثُهَا بِالوُقُوْفِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، وَمُنْصَرَفِي. قَالَ أَبُو عِمْرَانَ الجَوْنِيُّ: قِيْلَ لِعَامِرِ بنِ عَبْدِ قَيْسٍ: إِنَّكَ تَبِيْتُ خَارِجًا، أَمَا تَخَافُ الأَسَدَ؟! قَالَ: إِنِّي لأَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّي أَنْ أَخَافَ شَيْئًا دُوْنَهُ. وَقِيْلَ: كَانَ عَامِرٌ لاَ يَزَالُ يُصَلِّي مِنْ طُلُوْعِ الشَّمْسِ إِلَى العَصْرِ، فَيَنْصَرِفُ وَقَدِ انْتَفَخَتْ سَاقَاهُ، فَيَقُوْلُ: يَا أَمَّارَةً بِالسُّوْءِ، إِنَّمَا خُلِقْتِ لِلْعِبَادَةِ. تُوُفِّيَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ. (انظر: سير أعلام النبلاء ٤ / ١٥).

وكان مما قرأته أن الحسن البصري عليه رحمة الله يقول: (لقد استفدت من الحَجَّاج) الحجاج بن يوسف هذا الطاغية في زمانه، الذي قتل كثيرًا من العلماء، قال كلمة تأثر بها الحسن البصري سيد زهاد عصره.

يقول: (لقد قال الحَجَّاج كلمة أمامي تأثرت بها! هذه الكلمة التي قالها الحجاج: (إن امرءًا - أي شخصًا، سواء أكان رجلًا أو امرأة - تمر عليه لحظة من عُمُرِهِ في غير ما خُلق له، لَحَرِيٌّ أن تطول حَسْرَتُهُ يوم القيامة) لحظة من العمر تضيع من صاحبها سوف يتحسر عليها يوم القيامة! فما بالنا بمن يضيعون أعمارهم أمام الملاهي وأمام المغريات وأمام الشهوات؟!!

مدرسة الصيام:

أيها الإخوة الأحبة! لرمضان فضيلتُه، ولرمضان حرمته، ولرمضان مكانته، فاستقبلوا هذا الشهر بتوبة صادقة، ونية خالصة، وعزيمة قوية، وخَصَّصُوا لأنفسكم برنامجًا تخططون فيه كيف تغتنمون رمضان؟ كيف تكونون فيه من ناحية العبادة والطاعة؟ كيف تقسمون أوقاتكم على العبادات القولية والعملية والاجتماعية؟ وأيًا ما كان نوع هذه العبادة فإنَّ شرط الصيام ينبغي أن نقوم به، فرب صائم ليس له أجر ولا ثواب! كما في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **((رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ))**[1].

---

(١) إسناده جيد: أخرجه أحمد في مسند (ط الرسالة - ١٤ / ٤٤٥)، وأخرجه أبو يعلى (٦٥٥١)، وابن خزيمة (١٩٩٧)، والحاكم=

وفي الحديث أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: (**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**)[1].

واستحضروا هذا الحديث الجميل لتفرحوا يوم لقائكم بفضيلته وثوابه، الحديث الذي رواه البخاري ومسلم واللفظ له وغيرهما، (**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يضاعَفُ، الحسنةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فِيهِ[2] أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ**)[3].

إنَّ عبادة الصوم هي عبادة السِّرِّ؛ لأنه قد يتخفى الشخص وراء الحيطان والجدران ويأكل ويشرب، ثم يخرج أمام الناس على أنه صائم!! ولكن المؤمن يتقي الله تعالى، فهو في السر كالعلن؛ صائم في سره، وصائم في علنه، صائم أمام الناس، وبعيدًا عن أعين الناس، فالصوم عبادة السر، وصدق الله تعالى حين قال في الحديث القدسي: (الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ).

= (١/ ٤٣١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٢٦)، والبغوي (٧٤٧). وأخرجه الدارمي (٢٧٢٠)، وابن حبان (٣٤٨١)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٢٧٠)، وفي «الشعب» (٣٦٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (١٠٨٣).

(١) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، (١٨٠٤).

(٢) الرائحة الكريهة التي تنبعث من المعدة نتيجة خلوها من الطعام.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر من المسك، (٥٥٨٣)، ومسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، (٢٧٦٣).

ثم يقول النبي ﷺ كما في آخر الحديث: (**وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ**)، فهي رائحة طيبة لا يشتمها إلا أولوا البصائر كما قال ذلك ابن القيم، ولكن الكثيرين من صُوَّامِ العموم لا يشتمون إلا رائحةً كريهة، فإذا تَرَقَّوْا إلى صوم خصوص الخصوص اشتموها رائحة مسك.

(**أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ**) إما في الدنيا، وإما يوم القيامة كما في بعض الأحاديث.

ثم يقول أيضًا في هذا الحديث: (**وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَومُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ، وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ**)، جُنةُ: أي وقاية وحصن؛ حصن من حصون المؤمن يتحصن به من شهواته وهوى نفسه ومن شيطانه ونفسه الأمارة بالسوء. والرفث: كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة. أو لا يكن شأنه الفُحْش والتَّفَحُّش.

ثم يقول أيضًا في هذا الحديث: (**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بفطره، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ**) لماذا يفرح الصائم كل يوم عند فطره؟ ولماذا يفرح بفطره يوم العيد؟ لأنه عاد إلى الطعام الذي يشتهيه، وهذا أمر غريزي لا حرج فيه إطلاقًا، فإذا فرح الإنسان حين يشرب بعد عطش، أو يأكل بعد جوع، فلا حرج عليه؛ لأن هذا أمر مقرر في الطبائع البشرية السليمة، فأنت تفرح لأن الله تعالى أكرمك بالأكل عند المغرب، ولم يأمرك بالصوم المتصل طوال ثلاثين يومًا ليلًا ونهارًا.

وتفرح لمعنى آخر - وهو معنى لائق ولطيف - إضافةً إلى الفرح بالأكل بعد الجوع والشرب بعد العطش: أن تفرح بتوفيق الله تعالى إياك أنْ كنت من أهل هذا اليوم في رمضان، وتفرح أنْ وفقك إلى صيامه، وهو فرحك بالطاعات ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨].

وحينما تلقى ربك تفرح بصوم رمضان كله، لماذا؟ لأنك تكون من أهل باب الريان: عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: **(إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَومَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أحدٌ غيْرُهُمْ، يقال: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ)**(١)، نسأل الله عز وجل أن يحشرنا في زمرة أهل هذا الباب وغيره من أبواب الجنة.

وأيضًا حينما تأتي ساحة العرض على الله تعالى تفرح بصيامك، لماذا؟ لأنه سيُنادي ويُقال: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، قال مجاهد وغيره ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ أي: كلوا وتمتعوا بنعيم الجنة جزاء ما امتنعتم عن الطعام والشراب صومًا في رمضان وغيره من الأيام في دار الدنيا.

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى، (٢٥٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (٩٧٩).

برنامج رمضان:

رمضان يحتاج منا إلى برنامج فردي وأسري واجتماعي، فعلى سبيل المثال: حفظ الصيام، والحرص على صلاة القيام - صلاة التراويح - في المساجد التي تختم القرآن، فإن لم تكن تقوى على القيام فاجلس على الكرسي أو على الأرض، وأجرك موفور كامل إن كنت تجلس من تعب أو من مرض.

احرص على استماع القرآن في صلاة التراويح، والحمد لله هناك مساجد كثيرة تختم القرآن الكريم، فنحن طوال أحد عشر شهرًا لا نصلي غير ركعتين نَمْتَنُّ بهما على الله ﷻ، فرمضان فرصة للقيام عن أَبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: (**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيماناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)[1]، وكان السلف إذا جاء رمضان يتكئون على العِصِيِّ من طول القيام لأنه فرصة وغنيمة.

كم من واحد من أهلينا وأقربائنا وأحبابنا كان معنا في رمضان الفائت وهو الآن في عداد الأموات.

ألم تكن تتمنى أن تعيش رمضان كما كان يتمنى؟ وها أنت قد أحياك الله إلى رمضان آخر فماذا ستفعل؟ لو سألنا هذا الميت وهو في قبره: ماذا تريد وماذا تتمني؟ سيقول: أعيش إلى رمضان ليُختم لي بالخير وأزداد من العمل الصالح!!

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، (٣٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، (١٨١٥).

ومنا من سيموت الليلة، ومنا من سيموت في هذا النهار، ومنا من سيموت غدًا، ومنا من سيسمع أن رمضان بعد غدٍ ثم يموت ولن يدركه؛ فادعُ الله أن يبلغك رمضان بخير، ثم صُم حق الصيام، وقم حق القيام، واحرص على مسجد يختم القرآن الكريم لعله آخر رمضان يختم الله لك به، يكون لك في الصحيفة أمام الله عز وجل.

واسمعوا لهذه القصة العجيبة وعُدُّوا أنفسكم من الأموات، منا من هو حي ميت الآن، قُبضت روحه في ليلة القدر الماضية والله أعلم في ليلة القدر التي ستأتي - نسأل الله أن يبلغنا إياها بخير - سنكون من الأحياء أم لا؟

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله: أَنَّ رَجُلَيْنِ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَكَانَ إِسْلامُهُمَا جَمِيعًا، وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْ صَاحِبِهِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِهِمَا وَقَدْ خَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَا إِلَيَّ فَقَالا لِي: ارْجِعْ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فقَالَ: (مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا كَانَ أَشَدَّ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدَخَلَ هَذَا الْجَنَّةَ قَبْلَهُ، فقَالَ: (أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟) قَالُوا: بَلَى. قال: (وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ؟) قَالُوا: بَلَى. قال: (وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا سَجْدَةً فِي السَّنَةِ؟) قَالُوا: بَلَى. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (فَلَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)، يعني: سبق بعبادة سنة درجة الشهيد.

إذن أنت الآن في نعمة أن الله ﷻ سيبلغك رمضان فكيف تستقبل هذه النعمة، لعلها ترفع درجتك على درجة الشهيد كما في هذا الحديث الحسن.

فإذا كنت أنت يا من تستطيع أن تأكل وتشرب في أي وقت تريد ـ بالهاتف ـ تأتي بالطعام الذي تريد من أي مكان، إذا كنت ذقتَ ألم الجوع في نهار رمضان على قِصَرِ أيامنا هذه؛ فما بالنا بمن يعيش الجوع في كل أوقاته؟!

واللهِ لقد أخبرني بعض الناس ـ أقسم بالله على ذلك ـ وهو عندي صادق، أن هناك بعض الأسر لا تأكل إلا وجبةً واحدةً في يومها، وهي من الفول فقط!! ابحث عن هؤلاء حينما تُحس في نفسك بألم الجوع وقسوته، أو العطش وشدته، وأنت في مكتبك، وأنت في طريقك، وأنت في بيتك، حينئذ انزل على الفور وابحث عن مسكين وأعطه مالًا ليُفطر عليه، وقدم له صدقة ليطعم أولاده وذريته،

تكن بذلك من الذين يشكرون النعمة، فقد كان الرسول ﷺ أجود الناس طوال السنة، وما قال (لا) قط إلا في تشهده ـ عند قول أشهد أن لا إله إلا الله ـ فإذا جاء رمضان كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة؛ وذلك لمناسبة الشهر الفضيل؛ لأن أفضل الصدقة صدقة في رمضان، وثانيًا لأن جبريل كان يلقاه فيدارسه القرآن في رمضان.

فإن لم يكن معك مال فاطلب من فلان أو من فلان، أو استلف وأعط المحتاج ثم رُدَّ ما استلفته حين يتيسر لك، وإن لم يكن معك مال ولم تجد أحدًا يقرضك، فقل للمحتاج: تعالَ بعد حين أعطك إن شاء الله تعالى.

ابحث عن الذين لا يسألون الناس إلحافًا، لا تعط من لا يستحق ما لا يستحق، ومن يستحق ما لا يناسبه، بل أعطِ من يستحق قدر ما يستحق، ابحث عنهم وفتش وأنت في رمضان، واسْعَ وَجِدَّ في خطواتك في البحث والسؤال، فهذا من ضمن العبادات الرمضانية التي يكون الأجر بها موفورًا.

القرآن الكريم: إذا لم تكن تقرأ القرآن في غير رمضان فاعقد العزم على خَتْمِهِ في رمضان، أو على الأقل استماعه من إذاعة، أو من شريط، أو من صلاة التراويح، وإن كنت تختمه قبل ذلك مرة فاختمه في مضان مرتين وثلاثًا وهكذا ...

وأيضًا عليك بمدارسة القرآن في المسجد، فهناك مساجد تعقد فيها حلقات بعد العصر للقراءة، ضُمَّ نفسك إلى مسجد منها حتى تحظى بفضيلة: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بينهم، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ)[1].

فتنة العصر:

غير أنه يجب أن أحذر من آفة هذا العصر وفتنته المضلة التي ظهر ضلالها واضحًا وجليًّا لكل ذي عينين؛ وهي هذا الجهاز الخبيث جهاز التلفاز، من أراد أن يَسْلَمَ له رمضان فليعتزل برامجه الخبيثة التي يعدها أهل الفجور والشهوات من جند الشيطان، فورب الكعبة! ورب العزة! إنَّ مَنْ أصر على استماع التلفاز في رمضان ببرامجه القذرة العالمية والمحلية؛ من فوازير وتمثيليات ماجنة لَيَفْسَدَنَّ عليه رمضان، ويكون كمن ذهب إلى البحر فشرب ولم يزداد إلا ظمأً!! لن تَسْلَمَ له حسنةٌ واحدة في رمضان.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥) و (٤٩٤٦)، والترمذي (١٤٢٥) و (٢٦٤٦) و (٢٩٤٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٢٨٧) و (٧٢٨٨) و (٧٢٨٩)، وابن ماجه (٢٢٥) و (٢٤١٧) و (٢٥٤٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

فالتلفاز من أقذر الأجهزة الآن في عالم المسلمين، ولا أقول: إنها حرام بإطلاق، لا، ولكن حلاله حلال وحرامه حرام، لو كانت عندك القنوات الإسلامية والتربوية والاجتماعية والعلمية التي لا خبث فيها أَبْشِرْ! ستستمع إلى باقة منوعة من العقيدة والمعاملة والشريعة والأخلاق والتربية ... إن شاء الله تعالى.

لكن الناس ماذا يفعلون الآن بالقنوات الفضائة والمحلية؟! عليك إذن أن تنجو بنفسك وأن تتحكم في أهل بيتك، والعجيب أن كثيرًا من الناس اليوم لا يستطيع أن يتحكم في أهل بيته!! فإذا أحب الرجل الآن أن يمنع التلفاز من البيت لن يستطيع، فالتلفاز يمسخ الفطرة بما فيه من فتن! فالنظرة الواحدة كسهم مسموم من سهام إبليس في القلب، فما بالك بساعة وساعتين وأكثر ... من الرقص والعِهر والرذيلة؟! ليس هناك قلب بالمرة لقد اقتلع هذا القلب وسُمَّ هذا البدن!!

فإذا أردت أن يسلم لك رمضان فاهجر التلفاز في رمضان وأغلقه وضعه في «كرتونته»، وخُضِ التجربة بصدق وبعد ذلك ستعف عنه إن شاء الله تعالى.

وفي الختام

أهل الطاعة يحشدون ما عندهم من برامج ليجذبوا الناس إلى الله تعالى ويدلوهم عليه، وأهل المعصية - أولياء الشيطان في زماننا - يحشدون حشودهم ويُجَيِّشُون جيوشهم، ليصرفوا الناس عن طاعة الله ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٢٧].

واستمعوا إلى هذا الحديث: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِى مُنَادٍ: يَا بَاغِىَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِىَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**)[1].

(١) حديث قوي: أخرجه الترمذى (٣/ ٦٦، رقم ٦٨٢)، وابن ماجه (١/ ٥٢٦، رقم ١٦٤٢)، وابن حبان (٨/ ٢٢١، رقم ٣٤٣٥)، والحاكم (١/ ٥٨٢، رقم ١٥٣٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٣٠٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٣٠١، رقم ٣٥٩٨)، وفى السنن الكبرى (٤/ ٣٠٣، رقم ٨٢٨٤).

والعجيب يا أخواني أن النبي ﷺ قال: إن رمضان شهر العتق من النيران، والعتق يكون متي؟ بالليل، هكذا نص الحديث، لأن العمال يأخذون أجورهم بعد انتهاء العمل عادة، (**وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**).

وهناك من يباعدونك عن العتق! يلوثون عليك سمعك وقلبك وبصرك بمجرد ما تضع اللقمة في فمك مفطرًا!! والناس يعيشون أمام التلفاز عند فطرهم وطوال ليلهم، إذن فقد ضيعوا غنيمة العتق من النار!!

فانتبهوا ـ رحمكم الله تعالى ـ واحذروا مَنْ يريدون أن يضيعوا عليكم الأجر ويقطعوا عليكم الطريق إلى الله تعالى، فبالله عليكم استيقظوا وعودوا إلى الله ﷻ!!

وقولوا: اللهمَّ أَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَقِنَا شَرَّ نُفُوسِنَا.

الفهرس